

جدران القبر واشراق الحياة

"من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟"

خرج يسوع والأبواب مغلقة. ولما جاءت النسوة يتساءلن "من يدحرج لنا الحجر"، كان الرب قد خرج. فالحياة لا يضبطها حجرٌ وعدم الفساد لا يقيد من عالم الفساد. لكن ما يضبط الحياة ويؤجل القيامة هي جدران القلب المبنية ليس من بنية الخليقة وإنما من حرية الخلائق. وهذه الجدران لا يستطيع الله أن يحركها، إنما رغبة الإنسان وتوبته فقط.

الجدار الأول الذي يحول دون القيامة هو "أن نحصر القيامة في العبادة"، أي أن نعيد لقيامة يسوع في الطقوس والصلوات والترانيم، وبالأصوام التي تسبقها والصلوات التي تليها، وذلك دون أن تفتت فينا كل هذه الطقوس أي شيء. عندما تبدل بولس الرسول سقطت عن عينيه قشور. وللعبادة هذا الدور: أن تكسر جدراناً قاسية بنتها ظروف الحياة وتهاون النفس، ودون هذا التبديل تبقى الحياة في القبر! الجدار الثاني هو "أن نحصر عيد القيامة في العادة". أي أن نعيد بالعادة. فنبدل حينها في حياتنا كل مظاهر الألبسة والعلاقات وألوان الطعام. ونحيا من العيد عاداته. ونجد في العيد علاقات اجتماعية. وهذا كله وإن كان مباركاً لكن حين يبقى وحيداً في العيد ينقلب إلى جدار يأسر الحياة. العادات هي ألوان للتعبير عن جدّة الحياة. والموت هو أن نفرغ العبادة من مضمونها. يجب أن تكون العادات انعكاس لنور الحياة الجديدة على زوايا الحياة اليومية. فانعكاس القيامة والحياة الجديدة على المجتمع هي العلاقات الطيبة. وانعكاس نور الحياة الجديدة على الثياب هو بياض ألوان المعمودية. وكل عادة جميلة في العيد يجب أن تكون تعبيراً عن القيامة كحياة جديدة. لأنّ النور من القيامة، ودون شعاع النور كل انعكاس هو ظلمة.

والجدار الثالث هو أن "نحصر القيامة في التاريخ". أي أن نعيّد وكأننا نُحيي مجرد تذكّار لقيامة المسيح قبل ألفي عام كما نعيّد لأيّ تذكّار آخر. أي أن نظنّ أنّ حياتنا مفصولة عن حياة الربّ يسوع، أو أنّ قيامته لا تمسّ حياتنا، إلّا في إحياء الذكرى لها. ترنيمه "المسيح قام" تنتهي بعبارّة دقيقة وقويّة، وأحياناً تظلمها ترجمتها. فنحن نرتّم: المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت و"وهب" الحياة للذين في القبور. والفعل "وهب" يبدو غالباً أنّه يعني حدثاً في الماضي، إذ خرج عند صلب يسوع كثيرون من الأموات! ولكن في النصّ الأصليّ كلمة (χαρισάμενος) تعني فعلاً مستمراً في الزمن: "واهباً" من تلك اللحظة وإلى المنتهى. الربّ يسوع قال لتلاميذه: "ها أنا معكم إلى منتهى الأيام". وقال أيضاً: "لستُ أترككم يتامى".

من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ نحن ندحرج جدران العادة في العبادة، ونستمد من العبادة الحياة بدل أن ندفن الحياة في العادات. نحن من يهدم جدار سطحيّة الأعياد، إذ نحيا في العيد مضمونه وليس الشكل منه فقط. نحن من يحطّم جدار الزمن ونجعل ما حصل بالماضي فعلاً بالحاضر فلا ندفن الحياة في مجرد الذكريات.

المسيح قام وكلّ شيء جديد، المسيح قام ونحن قد حيناً،

المسيح قام والحياة أشرقت من القبر.

آمين

